



بسم الله الرحمن الرحيم

تعليق على كلمات الظواهري الأخيرة في الجهاد في سوريا

الحمد لله، والصلوة والسلام على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: حملت الأسابيع الأخيرة تطورات هامة على مستوى التنظيمات الجهادية، تميزت بعدم الاقتصار على مستوى سوريا وببلاد الشام فحسب، بل شملت عدة فروع لتنظيم القاعدة والمحسوبين على منهجها في عدة بلدان، وكان فيها التراشق وكيل الاتهامات والاصطدامات لهذا الفريق أو ذاك سيد الموقف.. وانتظر الجميع كلمة الفصل من أكبر قائد لهذه التنظيمات، الدكتور أيمان الظواهري فصدرت له عدة كلمات، لعل من أهمها (رثاء شهيد الفتنة الشيخ أبي خالد السوري رحمه الله) ثم كلمة (الواقع بين الألم والأمل)، وأخيراً كلمة (شهادة لحقن دماء المجاهدين بالشام).

وقد احتوت هذه الكلمات الثلاث على مسائل هامة ينبغي التوقف عندها، وهي كما يلي:
(1)

المسألة الأولى: مقتل أبي خالد السوري رحمه الله:

فقد اتهم الظواهري في كلماته الجهة التي تقف خلف هذا الاغتيال أنها فئة تكفيرية المعتقد، تستبيح الدماء والأموال بالشُّبُّه، وتسعى إلى السلطة والسيطرة على الآخرين.

قال في كلمته (رثاء الشهيد أبي خالد):

"أما التعزية فهي في هذه الفتنة العمياء التي حلّت بأرض الشام المباركة وفي هذا **الجاني المسكين المغرر به الذي دفعه من دفعه بداعِي الجهل والهوى والعدوان والطمع في السلطة ليقتل شيخاً من شيوخ الجهاد.."**

وقال: "وهذه الفتنة اليوم التي لم ترع حرمة ولا مشيخة ولا سبقاً ولا جهاداً وهجرةً وصبراً في الأسر ولا ثباتاً على الحق هذه الفتنة تحتاج من كل المسلمين اليوم أن يتصدوا لها وأن يشكلوا رأياً عاماً ضدّها وضد كل من لا يرضى بالتحكيم الشرعي المستقل فيها وأؤكد على المستقل فلا عبرة بتحكيم يعين أعضائه الخصوم.

وعلى كل مسلمٍ مجاهدٌ أن لا يتورط في دماء المجاهدين **وعليه أن يرفض أن يفجر مقارهم ويقتل شيوخهم** الذين دخلوا أكابر المجرمين وسعوا بكل طريقةٍ لقتلهم، فقام هؤلاء الجهال المتنطعون فسفكوا دمهم الحرام... إنْ قتل الشیخ المجاهد المهاجر الصابر المرابط أبي خالد السوري رحمة الله يذكرني بقتل الشیخین محمد السعید والرجام رحمهما الله على أيدي الجماعة الإسلامية المقاتلة".

بل يشير إلى أنَّ قتلة أبي خالد سيظهرون بعد فترة ولو أنكروا كما أنكرت الجماعة المسلحة في الجزائر جرائمها قبلهم: "والذي تورط في تلك الجريمة **لن يخفى أمره وسيعرف ولو بعد حين** فقد سبقه مجرمو الجماعة الإسلامية المقاتلة فأنكروا بداية قتلهم للشیخین محمد السعید والرجام رحمهما الله".

ولا يخفى على متابع أنَّ هذا الحديث إنما يقصد به جماعة تنظيم (الدولة)، فهي الجماعة التي استمرأت التكبير بالشبهات، وأجرمت في حق المجاهدين فقتلت من عجز النظام النصيري على الوصول إليه، ثم نفت جريمة قتل أبي خالد بطريقة ملتوية غير صريحة لتدفع التهمة عن نفسها، وتنطن أنها قد أفلتت بذلك..

فقد نشر خبر التكذيب إحدى (ولايات) التنظيم، ولم يصدر عن قيادة التنظيم كما هي العادة في هكذا أمورٍ خطيرة، وصدر بكلامٍ غير صريح بالنفي، إذ جاء فيه: "**إلا أنا لم نأمر بقتل أبي خالد ولم نستأمر**", وهذا ليس بنفي، بل نفي بعلم من صاغ البيان، أو إذنه، ولا ينفي مسؤولية بقية القيادات.

والسؤال المطروح:

ما ذُكر من استباحة الدماء بداعِي التكبير وحب السلطة لم يكن أبو خالد السوري أول ضحاياه، بل كان قبله مسلمون كثيرون، مجاهدون، وإعلاميون، وإغاثيون، وغيرهم، وبعضاً قتل بطريقة غاية في البشاعة كالطبيب أبي ريان، وبعضاً قتل بتهمة الردة كأبي بصير أمير النصرة في الرقة، ومئات غيرهم كثير، أفلأ كانت تستدعي هذه الدماء كلمةً أو موقفاً، وخاصة في الوقت الذي كان فيه المقربون من القاعدة يطعنون بكل من يتهم تنظيم الدولة أو ينتقده، بل ويتبناونه ويدافعون عنه؟ أم إنَّ هذه الكلمة جاءت حمية لأبي خالد -رحمه الله-. بسبب انتقامته؛ وبذلك تكون هذه الغضبة والحمية للتنظيم ورجاله لا للأمة ودينها ودمائها؟

(2)

المسألة الثانية: علاقة تنظيم (الدولة) بالقاعدة:

تشغل العلاقة بين تنظيمي القاعدة و(الدولة) حيزاً من الاهتمام والدراسات.. وقد جاء في كلمات الظواهري توضيحاً لهذه العلاقة، والتي يمكن تقسيمها لنقطتين:

النقطة الأولى: التنظيمية:

حملت كلمات الظواهري توصيفات مختلفة لعلاقة القاعدة بتنظيم (الدولة)، فقد جاء في كلمة (الواقع بين الألم والألم) توصيف هذه العلاقة بقوله في وصف تنظيم (الدولة) بأنه لا يلتزم بأصول العمل الجماعي: "**إعلان دول دون استئذان بل ولا إخطار، حيث كان التوجيه من القيادة العامة ألا نعلن أي وجود علني للقاعدة في الشام**، وكان هذا الأمر محل اتفاق حتى مع الأخوة في العراق..."

وفوجئنا في الإعلان الذي وفر للنظام السوري والأمريكا فرصة كانوا يتمنونها، ثم جعل عوامَّ أهل الشام يتساءلون: ما لهذه القاعدة تجلب الكوارث علينا، لا يكفيانا بشار، هل يريدون أن يجلبوا علينا أمريكا أيضاً. ومثل: **عدم الالتزام بقرارات القيادة في تقسيم الصالحيات**، أو في إيقاف القتال في الفتنة، وكان من أهم أسباب صدور الفصل المعروف في فتنة الشام، هو تخوفنا من تلك الفتنة الدامية التي تعصف بأرواح الآلاف من المجاهدين اليوم.

ولعل الجميع يدرك أن هذا الفصل لو كان الجميع قد التزم به لكان آلاف الدماء قد حقت، وتفرغت الجهود لقتال أعداء المسلمين، بدلاً من أن تشغل عنهم بقتال المسلمين... .

ومن خلال هذا النص يتضح ما يلي:

1- أن تنظيم (الدولة) تابع لتنظيم القاعدة ويأتمر بأمره: "إعلان دول دون استئذان بل ولا إخطار... عدم الالتزام بقرارات القيادة في تقسيم الصالحيات".

لكن هذا الائتمار يشوه شيء من الغموض؛ إذ يتضح أنه ليس صافياً خالصاً، فالقاعدة تجاهد في ضبط تصرفات تنظيم (الدولة): " كنت وإخواتي نمدحها على الخير الذي فيها، ونحاول إصلاح غير ذلك بالنصح والتوجيه والأوامر ما استطعنا".

فهل نشأ تنظيم (الدولة) من بدايته بموافقة تنظيم القاعدة ورعايتها؟

يقول الظواهري في كلمته (شهادة لحقن دماء المجاهدين بالشام) في كلام طويل:

"أن الدولة الإسلامية في العراق فرعٌ تابعٌ لجماعةٍ قاعدةٍ للجهاد، وأؤدُّ هنا أن أبين بعض التفاصيل:

1- لما قامت دولة العراق الإسلامية دون أن تُستأمرَ فيها قيادةً جماعةٍ قاعدةٍ للجهاد، ... أرسل الشیخ الشهید - كما نحسبه - أبو حمزة المهاجر - رحمه الله - رسالةً للقيادة العامة يبرُّ فيها إنشاء الدولة، ويؤكُّ فيها على ولاء الدولة لجماعةٍ قاعدةٍ للجهاد، وأن الإخوة في الشورى قد أخذوا العهد على الشیخ الشهید - كما نحسبه - أبي عمر البغدادي بأن أمیره هو الشیخ أسامة بن لادن رحمه الله، وأن الدولة تابعةً لجماعةٍ قاعدةٍ للجهاد... 2- كان الإخوة في القيادة العامة لجماعةٍ قاعدةٍ للجهاد، وفي دولة العراق الإسلامية يتعاملون على أساسٍ هذه القاعدة؛ أن دولة العراق الإسلامية جزءٌ من جماعةٍ قاعدةٍ للجهاد....".

ثم ضرب أمثلة كثيرةً يطول المقام بذكرها، ويحسن للدارس والمهتم الرجوع إليها.

ويظهر من خلال هذا النص ما يلي:

1- أنَّ تنظيم القاعدة لم يُستشر في إنشاء (الدولة) على يد أبي عمر البغدادي، ولم يكن لديها علم مسبق بإنشائها: "أن القيادة العامة لجماعةٍ قاعدةٍ للجهاد وأميرها الشیخ أسامة بن لادن - رحمه الله - لم تُستأمر، ولم تُستشر، بل ولم تُخطرْ قبيل إعلان قيام دولة العراق الإسلامية".

2- أنَّ تنظيم (الدولة) لم يكن مطيناً للقاعدة مستجيباً لأوامره: " فهو أولاً لم يستأذنا في إنشاء (الدولة) في العراق، ثم لم يستأذنا في إعلان التمدد لبلاد الشام، ولم يرضخ لطلبات القاعدة المستمرة في العودة إلى العراق.

ب- تأمير شخص لا تعرفه قيادات القاعدة، وهو مجهول بالنسبة إليها، ومطالبتهم مراراً بالتعريف به، وهو أبو بكر البغدادي، ومنها:

" وأرسل الشیخ أسامة للشیخ عطیة - رحمهما الله - في 24 رجب 1431 رسالةً جاء فيها:

"حبداً أن تفيدونا بمعلوماتٍ وافيةٍ عن أخيتنا أبي بكر البغدادي، الذي تم تعينه خلفاً لأنخيانا أبي عمر البغدادي - رحمه الله - والنائب الأول له وأبي سليمان الناصر لدين الله، ويستحسن أن تسألوا عنهم مصادرَ عديدةً من إخواننا الذين ثقون بهم هناك، حتى يتضح الأمرُ لدينا بشكلٍ كبيرٍ". وقد تكرر هذا الطلب عدة مرات.

ج- تكرار مخالفة تنظيم الدولة للقاعدة في الأمور السياسية: "رسالةٌ موجهةٌ من الشیخ عطیة للشیخ مصطفى

أبي اليزيد رحمهما الله، وفيها يؤكد الشيخ عطيه على الشيخ مصطفى أبي اليزيد بوجوب كتابة رسائل توجيهية حازمة للكرومي (ويقصد به أبا حمزة المهاجر) ولأبي عمر وناسهم لخوفه عليهم من الأخطاء السياسية".

بل إنَّ المتابع للشأن الجهادي عامَّة والعراقي خاصَّة يعرف أنَّ هناك رسائل كثيرة كانت تصدر من قيادات القاعدة لتنظيم الدولة في العراق منتقداً العديد من التصرفات والأعمال التي تؤدي إلى إراقة الدماء، وشكوى العديد من الجماعات الجهادية العراقية لقيادة تنظيم القاعدة من تصرفات تنظيم (الدولة) تجاه هذه الجماعات.

د- رفض تنظيم (الدولة) تأسيس محاكم مستقلة في الأحداث الأخيرة في سوريا، والتي نشر فيها عدة كلمات. وكل هذا يؤدي إلى نتيجة مؤكدة لا شك فيها: أنَّ تبعية تنظيم (الدولة) للقاعدة لم تكن تبعية حقيقة، بل كانت تبعية إسمية، وهو ما اعتمد عليه تنظيم (الدولة) في رفض الانصياع لقرارات القاعدة فيما بعد.

فإذا كانت القاعدة لا تُسيطر على هذا التنظيم لا في شأنه، ولا قياداته، ولا تصرفاته، وحين التنازع بينه وبين غيره من التنظيمات، فلماذا تبنت القاعدة هذا التنظيم؟

يأتي الجواب من كلام الطواهري:

"رغم أنَّ القيادة العامة لجماعة قاعدة الجهاد وأميرها الشيفُ أسامة بن لادن - رحمة الله - لم تُستأمن، ولم تُتشرَّش، بل ولم تُخطرْ قبيل إعلان قيام دولة العراق الإسلامية، إلا أنها رأت أنَّ تعرِفَ بها لفروقٍ عديدةٍ بينها وبين الدولة الإسلامية في العراق والشام منها:

أ- أنَّ دولة العراق الإسلامية لم تقم على أساسٍ فتنٍ بين الإخوة هددوا فيها بالخوف من سفك الدماء إذا تم تأييدُ الجبهة.

ب- دولة العراق الإسلامية قامت بعد شورى موسعةٍ بين شورى المجاهدين وقبائل أهل السنة، كما أخبرنا الشيخ أبو حمزة المهاجر - رحمة الله - بذلك، وهو من ثقُّ به وبصدقه لمعاشرتنا الطويلة معه، بأنه سعى للاتصال بكلِّ الجماعات الجهادية لدعوتهم للدولة. بينما الدولة الإسلامية في العراق والشام تشاورت فيها مجموعةٌ محددةٌ داخل الجماعة، بينما أعلنت جبهة النصرة أنها لم تستشرُ فيها أصلًا.

ج- تسبَّب إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام في مخالفةٍ واضحةٍ لأوامر قيادة جماعة قاعدة الجهاد لجنودها في العراق والشام بـلا يعلنوا عن أيٍ وجودٍ رسميٍ للقاعدة في الشام...

د- تسبَّب إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام في كارثة سياسية لأهل الشام، فبعد أن كان أهل الشام يخرجون في المظاهرات تأييداً لجبهة النصرة لما درجتها الحكومة الأمريكية على قائمة المنظمات الإرهابية، صاروا ينددون بهذا الإعلان الذي قدمته قيادة الدولة على طبق من ذهب للأسد، واستفز الإعلان بقية الجماعات الجهادية، التي رأت أنَّ الدولة تحاول أن تفرضَ نفسها عليهم بلا رضا ولا مشورة.

هـ- فجر إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام خلافاً حاداً داخل الجماعة الواحدة، وصل للاقتتال، وهدد الشيخ أبو بكر الحسيني البغدادي بنفسه بأنَّ أي تأييد لجبهة النصرة أو تأخرٍ فيما يراه هو الموقف الصحيح - بمغاراته فيما أعلن. سيؤدي لسلسلة الدماء الذي بدأ فعلاً.

و- وما زال شلال الدماء يتذبذب في الشام، ولو قبلت الدولة بقرار الفصل في المشكلة الذي كان يسعى لحقن دماء المجاهدين وتتجنب الفتنة المتوقعة، وتفرغوا للعراق، الذي يحتاج لضعافٍ مجاهدهم، لو قيلوا ذلك، وتصرفاً على أساس الشورى والسمع والطاعة لأميرهم، ولم يتمرسوا على أميرهم وقيادتهم، فأحسب أنهم كانوا سينجذبون المسلمين ذلك السيل من الدماء، وأنكوا في الحكومة الرافعية الصفوية، ونصروا أهل السنة في العراق بضعفٍ مضاعفةٍ. والحمدُ لله على كل حال".

إذا يستنتجُ من هذا أنَّ القاعدة اعترفت بالدولة الإسلامية في العراق:

- لأنها لم تقم على أساس فتنه.

- قامت على مشورة من أهل السنة والفصائل الجهادية.

- لم تتسبب في كوارث سياسية لأهل العراق!

وكل سبب من هذه الأسباب يحتاج لوقفات مطولة .. وسأكتفي الآن بهذه التعليقات اليقيرة:

1- هل تأسيس الدول وإعلان إمارات يكفى فيه بانعدام الفتنة بين الجماعات الجهادية؟ أم أن تأسيس الدول شرطاً وأساساً لا بد أن توفر حتى تقوم وتوسّس؟

2- من أين علم الظواهري أن (الدولة) في العراق قامت بمشورة وموافقة أهل السنة والفصائل المجاهدة في العراق؟ هل بمجرد خبر شخص واحد فحسب، مما يدو القاعدة للموافقة على إعلان (دولة) تُعد لبنة في إعادة الخلافة؟

بل لو كان المُخْبِر التنظيم بأكمله، هل يجوز لتنظيم القاعدة أن يعلن قبوله بولاية هذا التنظيم دون الرجوع لبقية التنظيمات على الأرض، وبقية أهل الحل والعقد؟ أليس هذا أخطر من حكم أحد الخصمين على الآخر دون سماع حجته؟

ثم طوال السنوات الماضية: صدرت شكاوى واعتراضات كثيرة من سائر الفصائل الجهادية في العراق ترفض هذه (الدولة)، بل وصدر من تنظيم (الدولة) ردود عليها، وتهديدات، ثم خاضت حروباً ضاربة ضدها، فهل وصلت تلك المعلومات أم لم تصل؟ وما الموقف المتخذ بعد وضوح هذه المعلومات ورفع الشكوى إليه من هذه الفصائل؟

3- من أين علم الظواهري أن إعلان (الدولة) في العراق لم يتسبب في كوارث سياسية للعراقيين؟
ألم يصلهم ما آل إليه حال العراق اليوم؟ أم أن هذا الحال ليس بكارثة؟

وإذا كان من الحكمة في سوريا عدم نسبة جبهة النصرة (الدولة) فهل كانت هذه الحكمة غير مطلوبة في العراق؟ أم هو درس تعلمه القاعدة وتطبّقه الآن في سوريا دون اعتراف بأخطاء العراق؟

4- من أين علم الظواهري والقاعدة أن تأسيس (الدولة) في العراق لم يتسبب بشلالات دماء؟ ألم يصل إلى سمعهم عشرات الكلمات والتصريحات لقادة التنظيم وهي تصف الجماعات الجهادية العراقية بالردة والعمالة؟ وتسميهما بالاسم كالجيش الإسلامي، وجيش المجاهدين ... إلخ؟

ألم يصلهم أن أي مشروع يتعارض مع مشروع (دولتهم) فهو إما مشروع خيانة أو ردة؟

ألم يصلهم شكاوى جيش المجاهدين وأنصار السنة من تصرفات تنظيم (الدولة)؟

ألم يصلهم نتائج هذا الاقتتال بين الفصائل؟ وأنهيار مشروع jihad في العراق؟

ف لماذا السكوت على الوضع العراقي مع كثرة من تحدث به؟ ثم الحديث فقط عن الوضع السوري؟

هل لأن اكتشاف تنظيم (الدولة) في سوريا أشد من اكتشافه في العراق؟ وهل من المشروع السكوت عن الأخطاء وعدم الاعتراف بها إذا لم يتحدث بها الناس، والاعتراف بها حينما يتحدثون؟ هل في هذا نصيحة للأمة، ومراقبة لله أم للناس؟

النقطة الثانية: المنهجية الفكرية:

أكَّد الظواهري في كلماته هذه اختلاف منهج القاعدة عن منهج تنظيم الدولة، فما هي نقاط هذا الاختلاف؟ قال في كلمته (الواقع بين الألم والأمل) ردًا على سؤال: صدر أخيراً بيان من القيادة العامة تؤكد فيه أنها لا صلة لها بجماعة الدولة الإسلامية في العراق والشام، ما هي حيثيات هذا القرار؟

"حيثيات هذا القرار يمكن تقسيمها لأمرتين:

الأول: هو الاختلاف بين منهجين:

فمنهجهما: هو التركيز على هيل العصر أمريكا وحلفائها الصليبيين والصهيونيين وعملائهم الخونة، وعهد الأمة وتحريضها على جهادهم وترك المعارك الجانبية.

ومنهجنا: هو الاحتياط في الدماء، وتجنب العمليات التي قد تسفك فيها دماء بغير حق... ولذلك أصدرنا وثيقة توجيهات عامة للعمل الجهادي بعد أن أرسلناها للتشاور لجميع الأخوة، وكان من أسباب إصدارنا لهذه الوثيقة: التخوف مما يقع الآن، ولعل الجميع يدرك الآن بعد أن أصطلح بنار هذه الفتنة، ما هي المخاطر التي كانت تسعى تلك الوثيقة لتجنبها.

ومنهجنا أيضاً: هو الحرص على تجتمع الأمة وتوحيدها حول كلمة التوحيد والعمل على عودة الخلافة الراشدة، التي تقوم على الشورى والرضي من المسلمين ...

أما الأمر الثاني: فهو عدم الالتزام بأصول العمل الجماعي."

فمن خلال ما سبق يتضح أن المنهج يختلف بين القاعدة وتنظيم الدولة في:

- التركيز على أمريكا وعملائها، وترك المعارك الجانبيّة.
- الاحتياط في الدماء.

- جميع الأمة وتوهيدها حول كلمة التوحيد والعمل على عودة الخلافة الراشدة.

- عدم الالتزام بأصول العمل الجماعي.

ولنا وقوفات مع هذا الاختلافات:

1- من المقصود بعملاء أمريكا؟ وكيف يكون قتالهم؟

أليس هذا هو عين ما أعلنَه تنظيم (الدولة) من إعلان الحرب على جميع الأنظمة العربية والإسلامية وجيوشها، وجعل استهدافهم وقتلهم أولى من قتال الصليبيين؟

أليس هذا الذي تقوم به فروع القاعدة في كل من اليمن والمغرب العربي؟

وما حصاد هذه السنوات الطويلة من القتال على بلاد المسلمين؟ وما أثرها في تلك الأنظمة؟

2- أليس ما أصدره تنظيم القاعدة من دراسات حول الترس والقيام بالعمليات في البلدان الإسلامية، بل ضد المدنيين من غير المسلمين ينافي الحديث عن الاحتياط في الدماء؟

وما نتائج هذه العمليات وخسائرها من كافة الأطراف؟ وخاصة فرعها في اليمن والذي صدر من قريب تصريح لأحد قادته يذكر فيه أن خسائر التنظيم من غارات الطائرات دون طيار قليلة جداً، علماً أن خسائر المجمع من الدماء والدمار، وخسائر أبناء اليمن من هذه العمليات كبير جداً بسبب هذه العمليات؟ والمتسبب لها وجود التنظيم في اليمن والإعلان عنه؟

ومثلها كان سلفها تنظيم القاعدة في جزيرة العرب أثناء وجوده في السعودية؟

فعن أي دماء يتحدث الظواهري؟

أم إن النقد هنا يتوجه للمشروع الذي ظهر عواره ولم يعد يمكن التغطية عليه، والصمت عما سوى ذلك؟
3- وأما توحيد الأمة حول العمل والخلافة الراشدة:

كيف يكون هذا التوحيد للوصول للخلافة الراشدة؟ وما هي وسيلة؟ ومن المؤهلون لحمله والسير به؟ وما الموقف من الحكومات التي تقوم داخل الحدود السياسية الحالية وإن كانت إسلامية؟

وهل نحن مطالبون شرعاً وقدراً بإقامة الإسلام والحكم به؟ أم إقامة الخلافة حصرًا؟ وألا يمر ذلك بمراحل؟
و...إلى

وهناك عشرات التساؤلات التي ينبغي على تنظيم القاعدة الإجابة عنها لتوضيح حقيقة الفرق بينه وبين تنظيم (الدولة).. والذي قبلت به عندما أعلن تأسيس (الدولة) على خطى الخلافة، ولم تسحب اعترافها منه إلا بعد خروجه عن إمرتها..

والنقطة الأهم هنا:

أن هناك العشرات من القضايا التي أعلنها تنظيم (الدولة) ولم تعلق عليها القاعدة، أو يتبرأ منها الظواهري، فهل هي محل اتفاق أم اختلاف؟

فما حكم البلاد الإسلامية عند تنظيم القاعدة، هل هي ديار كفر أم إسلام؟ بغض النظر عن الحكومات والحكام.
وما حكم مؤسسات تلك الدول؟ ومن يعمل في تلك المؤسسات؟
وما حكمهم في قضايا التكفير التي أصدرها تنظيم (الدولة) ليس في تنزيلها على الأفراد فحسب، بل في أصول
المسائل التي حكموا فيها بالكفر والردة؟
وتعتبر مسائل التكفير والتخوين من أخطر المسائل التي تميز بها تنظيم (الدولة)، والتي حكم بها سائر أهل العلم
والحركات الجهادية على التنظيم بأنه تنظيم خارجي المعتقد؛ فلماذا لم يُشر إليه الطواهري؟ أم أن الخلاف فيه
في الفروع وليس في التطبيق؟
وما حكمهم في علماء الأمة؟
وغيرها من المسائل الكثيرة محل الخلاف؟

* * *

(3)

المسألة الثالثة: الموقف من تنظيم (الدولة):
يلحظ في كلام الطواهري في كلماته الثلاثة اختلاف توصيف تنظيم (الدولة) والموقف منها، كما يلي:
ففي كلمته في (رثاء شهيد الفتنة الشيخ أبي خالد السوري) قال:
"الفتنة العمياء التي حلّت بأرض الشام المباركة وفي هذا الجاني المسكين المغرر به الذي دفعه من دفعه **بدافع**
الجهل والهوى والعدوان والطمع في السلطة ليقتل شيئاً من شيوخ الجهاد...
وأخبرني رحمة الله أنه يرى في الشام **بذور الفتنة التي عاصرها في بيشاور، فتنة الجهل والهوى والظلم** التي
تستبيح الدماء والأعراض بالدعوى والشبه والهوى والطمع...".

وهذه الفتنة اليوم التي لم ترع حرمةً ولا مشيخةً ولا سبقاً ولا جهاداً وهجراً وصبراً في الأسر ولا ثباتاً على الحق
هذه الفتنة تحتاج من كل المسلمين اليوم أن يتصدوا لها وأن يشكلوا رأياً عاماً ضد كل من لا يرضى
بالتحكيم الشرعي المستقل فيها وأؤكد على المستقل فلا عبرة بتحكيم يعين أصحابه الخصوم.

وعلى كل مسلمٍ مجاهد أن يتبرأ من كل من يأبى ذلك التحكيم.

وعلى كل مسلمٍ مجاهد أن لا يتورط في دماء المجاهدين وعليه أن يرفض أن يفجر مقارهم ويقتل شيوخهم الذين
دواخوا أكابر المجرمين وسعوا بكل طريقةٍ لقتلهم، فقام هؤلاء الجهال المتنطعون فسفروا دمهم الحرام.

وعلى جميع المسلمين أن لا يعينوا من يفجر مقار المجاهدين ويرسل لهم السيارات المفخخة والقنابل البشرية،
وأن يتوقفوا عن دعمه بأية صورة.

وعلى كل من يقع في هذه الآثم أن يتذكر أنه يحقق لأعداء الإسلام بيه ما عجزوا عن تحقيقه بكل إمكاناتهم...

والذي تورط في تلك الجريمة لن يخفى أمره وسيعرف ولو بعد حين فقد سبقه مجرمو الجماعة الإسلامية المقاتلة
فأنكروا بدايةً قتلهم للشيفين محمد السعيد والرجام رحمهما الله...".

ثم أنشد:

"ومن السعاة إلى المناصب دونها * هتكوا المحارم جهرةً وفجوراً

أسلامهم قتلوا الخليفة ثالثاً * يتلو الكتاب مسالماً وصبوراً

طعنوا أبا الحسن الإمام مصلياً * حجبت شموسًا طعنةً وبدوراً

سيخيب في أرض الشام حفيدهم * وكفى بربك هادياً ونصيراً.

فيظهر من هذه الكلمة اتهام من قتله بـ: الجهل والهوى، والتکفير بالشبهة، واستباحة الدماء والأعراض، والسعى للسلطة، وأنه لا يرضى بالتحکيم المستقل، ويقوم بتفجير مقار المجاهدين بالسيارات المفخخة والقنابل البشرية!!

فمن قام بهذه الأمور سوى تنظيم (الدولة) بإجماع المخالفين لها من الفصائل المجاهدة، وأهل العلم، وغيرهم؛ بل إنهم من تبرأ من دم أبي خالد رحمة الله، كما سبقت الإشارة إليه، وقد أشار الظواهري إلى أنَّ قد سبّهم من الخارج من تبرأ من دم من غدرُوا بهم ثم ظهر صدق الاتهام. وأخيراً.. وصف من قام بهذا الفعل أنهم أحفاد الخارج !!

ثم عاد فأكَّد في كلمته (الواقع بين الألم والأمل) هذه الأمور، فأشار الخلاف المنهجي بين تنظيمي القاعدة و(الدولة) كما سبق بيانه، وزاد عليه بأمر آخر وهو وجود اختراقٍ ما في التنظيم، سواء كان من النظام، أو الرافضة، أو الاستخبارات، أو حتى من لم تترسَّخ قدمهم في الجهاد فقال:

"وأنا لا أستبعد وجود اختراق معاد للجهاد وسط المجاهدين"، وليس بالضرورة أن يكون ذلك الاختراق تجسسياً استخباراتياً، بل قد يكون ناعماً مخادعاً في صورة نصيحة غير سديدة أو تحريش بين المجاهدين أو دعم مالي للاستمرار في خط خاطئ...

ولا نستبعد أن يكون هناك اختراق من النظام لكي يتولى المجاهدون إبادة بعضهم بعضاً، ويحققوا للنظام بأيديهم ما لم يستطع تحقيقه".

واللافت للنظر أن رأس تنظيم (الدولة) وهو أمير المؤمنين كان مجھول الحال عند تنظيم القاعدة، واحتاج التعریف به إلى عدة رسائل طلب للتعریف، وفي آخر هذه الرسائل طلب شديد التحریض والاحتیاط: "ويستحسن أن تسألوا عنهم مصادرَ عديدةً من إخواننا الذين تثقون بهم هناك، حتى يتضحَ الأمرُ لدينا بشكل كبير". وهذا على الرغم من الوجود الكثيف للقاعدة في العراق، ووجود كبار رجالاتها في تنظيم (الدولة)، فإذا كان الرأس مجھول الحال غير راسخ القدم في العلم والجهاد، وغير معروف بالحكمة والتجربة -كما كان يحرص الأمير الزرقاوي رحمة الله على العمل به-. فما بال من هم أقل منه شأنًا من القادة والأمراء؟ إنَّ الأحداث في سوريا -والعراق قبلها- أثبتت أنَّ العديد من المجرمين بل ومن غير أهل السنة أعلنوا (توبتهم) وبيعتهم (للدولة) فكان مصير هؤلاء العفو والصفح بما ارتكبوه من جرائم، بل وتسليطهم على رقاب الناس ولما ترسَّخ التوبية في قلوبهم وأفعالهم.

أما عن القتال الدائر فقال:

"ونطلب من جميع المجاهدين إحلال النزاع لهيئة تحکيم شرعية،،، وأن يشكلوا آلية لإلزام الجميع بأحكامها، ويجب أن تكون هذه الهيئة مستقلة، ويجب على جميع المجاهدين ومناصري الجهاد في الشام وخارجها أن يتخذوا موقفاً من مواقف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضد كل من يعطل هذه الهيئة أو يتجاهل الاستجابة للدعوة لها أو لا يلتزم بقراراتها، ومن يثبت عليه هذا يجب ألا يدعم معنوياً أو مادياً أو يلتحق به أو ينصر على إخوانه..

بل يجب أن يشكل الرأي العام الإسلامي موقفاً عاماً ضده، وأن يتبرأ من أفعاله،،،
وليعلم كل من يدعم هؤلاء مادياً أو معنوياً، أنه بذلك يعين على قتل المجاهدين وتدمير الجهاد، ولি�تحمل تبعه
أفعاله أمام ربه في الدنيا والآخرة،،،

فنزع الشرعية أمر خطير جداً، ففي الجزائر لما نزعت الشرعية عن الجماعة الإسلامية المسلحة انتهت، وفي
أفغانستان لما نزعت الشرعية عن الأحزاب المتحاربة بعد انسحاب الروس انتهت،،،.

إذا هي دعوة لمقاطعة تنظيم (الدولة)، والبراءة من أفعاله، وتكون رأي عامٍ ضده، وأن من يقاتل معه فهو
يتحمل تبعات فعله في الدنيا والآخرة، بل والتهديد بنزع الشرعية..
بالإضافة إلى ما سبق من وصف هذا التنظيم بأوصاف الخوارج..

فمن أي شيء تحدث الكلمة الأخيرة؟

جاءت الكلمة الأخيرة (شهادة لحق دماء المجاهدين في بلاد الشام) مناقضةً لكل ما سبقها من كلمات، واحتوت
على أمور لا يمكن القبول بها بحالٍ من الأحوال، وهذا ظاهر واضح في تلقي الناس لهذه الكلمة العجيبة..
فقد احتوت الكلمة على:

1- الرغبة في وقف نزيف الدم بين المجاهدين في سوريا: " وما يضرني أن أتكلّم قد يجعله الله سبباً
لوقف نزيف الدم المجاهد المسلم".

2- وصف أمير تنظيم الدولة بـ: **الشيخ المكرم أبي بكر الحسيني البغدادي - حفظه الله**، مع تكراره في الكلمة
أنَّ القاعدة لم تكن تعرف عنه شيئاً، وأنها طلبت مراراً التعريف به، ويظهر أنها تلقت الإجابة، وبغض النظر عن
مخاطبته بهذا الخطاب لمحاولة الإصلاح، فلا يليق بعد الكلمات السابقة من أوصاف الخوارج وغيرها أن
يُخاطب هذا الخطاب التبجيلي !

3- أكدَ ماراً أن إعلان تمدد (الدولة) للشام لم يتم باستشارتهم، بل وتم عصيان طلبات الرجوع للعراق ماراً.

4- وأنَّ (الدولة) في الشام قامت على أساس: الفتنة بين المجاهدين، وقامت دون شوري، وتسببت في كارثة
سياسية لأهل الشام، وإثارة الخلاف بين أفراد الجماعة الواحدة، وما تسببه ذلك من إراقة الدماء..

5- ثم جاء الطلب الغريب المستهجن في:

- طلب رجوع تنظيم (الدولة) إلى العراق؛ لنصرة أهل السنة!

- الأمر لتنظيم النصرة بوقف القتال!

فمن كانت صفاته كما سبق من الافتئات على المسلمين، وعدم طاعة قيادة أوامر القيادة، والتخطي في منهجه،
ووقعها في الغلو في الدين والتكفير بالشبيهة، واستحلال الدماء والأموال، وسلوك مسلك الخوارج، واحتراقها
على كافة المستويات من الاستخبارات وغيرهم: فهل يقال للمجاهدين كفواً أيديكم عن هؤلاء الخوارج؟ وهم
بدؤوا بالقتل والقتال؟

ألا يعرف الظواهري أحكام قتال الخوارج والتعامل معهم؟ بل تكرر وصفهم بالبغاء، وبالخوارج، وفرق بين
الوصفين.

ألم يصل إلى مسامعه - بل ويعرف بلسانه - بالمصيبة التي نزلت على أرض الشام بسببيهم، وخروجهم عن أي
طاعة وأي توجيه ثم يأمر بالكف عنهم وهم لا ي肯ون عن التكفير والتخوين والتفجير؟
ألم يعلم ما أصاب الناس من خوف، وقطع السبيل، وتغول العدو النصيري بسبب توسعهم، ثم كان العكس عند
اندحارهم، ولما قاربت الهزيمة بهذا التنظيم الخارجي المشبوه إذا به يمد لهم طوق النجاة؟ وهو يعلم علم اليقين
أنهم لن يتوقفوا ولن يستجيبوا؟

أفمن كانت هذه صفاته وتنظيمه يُطالب الكف عنه، بل ويؤمن على جهاد أهل العراق ويطالب بالرجوع إليها،
ويُسلط على المجاهدين فيها؟ وتجاهل كل ما حدث بسبب هذا التنظيم، وظلمات المجاهدين الآخرين منه؟
أبعد وصف التنظيم بأنه تنظيم خارجي مخترق، يخاطب أميره المجهول الحال بأنه حفيد الحسن، ويُشَبِّه به،

ويأمل أن يطفئ الله به نار الفتنة بين فئتين من المسلمين؛ وهم أقدوها وكانوا السبب فيها؟
فأي تخطٍ بعد هذا التخطٍ؟ وأي حكمة في هذه التصرفات والتناقضات؟
وما آثارها على جبهة النصرة تحديداً، وعلى جهاد أهل الشام عموماً؟
أليس في هذا تقديم لمصلحة الجماعة (وفيها من الفساد ما فيها) على مصلحة الأمة جماء، وإعطاء أسوأ مثل
للتعامل مع المجرمين الخارجيين عنها؟
سبحانك الله هذا بهتان عظيم!

* * *

(4)

المسألة الرابعة: وقفات عامة:

من خلال كلمات الظواهري تظهر لنا الوقفات التالية:

1- قال الظواهري في كلمة (رثاء شهيد الفتنة):

"إلى أن قامت الثورة السورية المباركة وارتفع فيها علم الجهاد والسعى لإقامة الدولة الإسلامية التي تحاكم للشريعة وتنشر العدل وتبسط الشورى وتحرر الأقصى وسائر ديار المسلمين المحتلة وتنصر المظلومين وتتحرر من التبعية الخارجية وتطهر البلد من الفساد الداخلي".

إن إقامة حكم الشريعة، وتطهير الأقصى، وسائر ديار المسلمين، وتطهير بلاد المسلمين من الفساد الداخلي مطلب كل مسلم مخلص، بل وهو سعي الكثير منهم.

لكن هذه الأهداف كبيرة لا يمكن تحقيقها جملة واحدة، بل لا يمكن أن تتحققها جماعة واحدة، ولا مجموع جماعات، بل هي مشروع نهضة ل الكامل للأمة الإسلامية، يحتاج لتضافر الجهود والخبرات وسنوات من العمل والجهد، فكيف تُحمل الثورة السورية هذا العبء وحدها؟ ويراد لها أن تكون منطلق هذا المشروع العالمي، وكل من يعرف الثورة وما تعانيه يدرك المخاطر المحيطة بها داخلياً وخارجياً؟

بل إن هذا الكلام يُناقض ما سيأتي بعد قليل من الحديث عن مراعاة النواحي الإعلامية والعالمية. وهل أصبحت سوريا محطة الانطلاق لهذا المشروع بعد أن فشلت الجهود في كل من السعودية، والإمارات، وبلدان المغرب، وغيرها.. ألا وقفه محاسبة ومراجعة لهذا المشروع المتكرر الفشل، وذو الآثار المدمرة على كل مكان حل به؟

2- كرر الظواهري في كلماته أنه أصدر توجيهات تعتبر مرجعاً وحكماً بين المجاهدين بعد التشاور مع القادة والمعنيين بهذا الأمر، فقال في كلمة (الواقع بين الألم والأمل): "ولذلك أصدراها وثيقة توجيهات عامة للعمل الجهادي بعد أن أرسلناها للتشاور لجميع الأخوة... ولذلك أصدراها وثيقة نصرة الإسلام لجميع العاملين الإسلام لجمعهم على كلمة سواء!!".

ومع خطورة هذه التوجيهات، وعلاقة جميع الأمة الإسلامية بها، إلا أن دائرة المشورة لم تخرج عن رجالات القاعدة والقريبين من فكرهم، فهل رجالات القاعدة ومشايخها هم وحدهم أهل الحل والعقد، والفتنة الوحيدة التي يوثق بعلمها ودينها، وتتصدر عنها الفتاوى والتوجيهات دون علماء الأمة الإسلامية؟

أليس في هذا افتئات على الأمة بأكملها؟ أم أنهم لا يرون غير أتباع هذا الفكر لذلك؟ وبالتالي ما الفرق بين ذلك وبين حصر تنظيم (الدولة) للشوري في الموافقين له؟ أليس هذا من ذاك؟

وتبقى العديد من الملحوظات والتعليقات لعلها تكون في مقالات قادمة إن شاء الله..

* * *

وأخيراً..

إلى الإخوة في تنظيم القاعدة..

إنَّ من أَهْمُ أَسْبَابِ انْحرافِ تنظيمِ (الدُّولَة) تَحْزِيْمُ وَوَلَاقِهِمْ لِتَنظِيمِهِمْ دُونَ إِعْمَالِ الرَّأْيِ وَالْفَكِيرِ فِيهِ، فَرَفَضُوا النَّصَائِحَ وَالتَّوْجِيهَاتِ، وَكَذَبُوا الْحَقَائِقَ وَالْوَاضْحَاتِ، فَازْدَادُوا انْحرافًا إِلَى أَنْ وَصَلَ بِهِمُ الْحَالُ إِلَى مَا نَرَى.. وَالْيَوْمَ نَحْنُ أَمَامُ مَجْمُوعَةٍ كَلْمَاتٍ لِلظَّوَاهِريِّ يَظْهُرُ فِيهَا عَدَمُ الْعِلْمِ بِكَثِيرٍ مِّنَ الْأَشْيَاءِ وَقَتْ وَقُوَّهَا، ثُمَّ عَلِمَهُ بِهَا وَكَتَمَنَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ سَارَتْ بِهِ الرَّكْبَانُ، ثُمَّ التَّنَاقُضُ فِي التَّعَالِمِ مَعَ الْمَسَائِلِ الْمُخْتَلِفَةِ الْوَاضِحَةِ، بِإِلَاضَافَةِ لِعدَمِ السُّيُطَرَةِ عَلَى فَرْوَعَتِ تَنظِيمِ الْقَاعِدَةِ فِي أَنْحَاءِ الْعَالَمِ وَاحْتَوَاهُ خَلْفَاتِهِمُ الَّتِي وَصَلَتْ حَدَّ التَّعَارُضِ وَالتَّنَاقُضِ عَلَى مَسْتَوِيِ الْقَادِهِ كَمَا يَعْلَمُهُ كُلُّ مَتَابِعِ لِشُؤُونِ الْجَمَاعَةِ.

وَمَعَ ذَلِكَ نَلَهَظُ الْغَلُوَ فِي شَخْصِ الظَّوَاهِريِّ وَسَأَكْنَفِي بِمَثَالٍ وَاحِدٍ فَقْطَ أَلاَّ وَهُوَ تَلْقِيهِ بِحَكِيمِ الْأَمَّةِ.. فَمِنَ الْأَمَّةِ الَّتِي نَصَبَتْهُ حَكِيمًا عَلَيْهَا؟ وَهُلْ هَذِهِ الْأَمَّةُ تَرْضِي بِحُكْمِهِ وَفَتاوَاهُ وَمَوْافِقَهُ؟ أَمْ أَنْ لَهَا مَوْقِفًا آخَرَ مِنْ آرَائِهِ وَاجْتِهَادَاتِهِ؟

وَإِنْ كَانَتِ الْأَمَّةُ رَافِضَةً لِهِ فَبِأَيِّ حَقٍّ يُنَصَّبُ حَكِيمًا عَلَيْهَا وَهُوَ الْفَائِلُ: "فَالْأَمَّةُ تَخْتَارُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَنْتَوْفِرُ فِيهِمْ شُرُوطَ تَوْلِي تَلْكَ الْمَسَؤُلِيَّاتِ، سَوَاءَ كَانَتْ نِيَابَةً أَوْ إِمَارَةً أَوْ إِمامَةً" فَمَتَى اخْتَارَتِهِ الْأَمَّةُ؟ أَمْ إِنَّ مِنْ اخْتَارَهُ هَذِهِ الْلَّقْبَ لَهُ لَا يَرَى فِي الْأَمَّةِ إِلَّا قَادِهِ الْقَاعِدَةِ؟

وَإِنْ كَانَ سَبَبُ هَذِهِ الْلَّقْبِ حُكْمَتِهِ فِي التَّعَالِمِ مَعَ مُخْتَلِفَ الْأَمْورِ فَحَسْبُ، فَأَيْنَ اسْتَحْقَاقُ هَذِهِ الْلَّقْبِ: مَمْنَ تَخْفِي عَلَيْهِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ وَعَظِيمَةٍ فِي تَنْظِيمِهِ التَّابِعَةِ لَهُ وَالْمُؤْتَمِرَةِ بِأَمْرِهِ، وَهُوَ فِي هَذِهِ الْمَنْصَبِ الْخَطِيرِ، وَمَعَ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَحْكُمُ فِيهَا بِالدَّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ، وَالْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ؟ وَأَيْنَ الْحِكْمَةُ إِذَا كَانَ مَطْلَعًا عَالَمًا لَكُنْ لَمْ يَدْرِكْ خَطْرَهَا إِلَّا بَعْدَ حِينٍ، وَقَدْ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصَرِيُّ: "إِنَّ هَذِهِ الْفَتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ عَرَفَهَا كُلُّ عَالَمٍ وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا كُلُّ جَاهِلٍ".

بَلْ أَيْنَ الْحِكْمَةُ فِيمَنْ اطَّلَعَ عَلَى مَصَابِ الْقَوْمِ وَإِجْرَاهُمْ ثُمَّ سَكَّتْ عَنْهَا وَلَمْ يَبْيَنْ لِلْأَمَّةِ وَلَمْ يَوْضُعْ، وَقَدْمَ مَصْلَحَةِ التَّنْظِيمِ عَلَى مَصْلَحَةِ الْأَمَّةِ، فَكَرِرَ بِهَا الصِّمَتُ أَقْوَامٌ، وَكَمْ اسْتَبَحَتْ دَمَاءً وَأَمْوَالًا وَانْتَهَكَتْ مَحَارِمٌ؛ وَأَخِيرًا.. أَيْنَ الْحِكْمَةُ فِي مَعَالِجَةِ الْخَطَرِ الدَّاهِمِ بِمَا لَيْسَ عَلَاجًا، وَالْعَلَاجُ وَالْمُعَالَجَةُ مَعْلَمَ الْغَلَةِ الْمُنْحَرِفِينَ الَّذِينَ لَمْ يَرْقِبُوْا فِي مَؤْمَنٍ إِلَّا وَلَا ذَمَّةً، وَالْتَّرَاجُعُ مِنْ وَصْفِهِمُ بِالْخَوَارِجِ وَإِدْرَاكُ خَطْرِهِمُ عَلَى الشَّامِ، ثُمَّ وَصْفُهُمُ بِالْمَجَاهِدِينَ وَإِطْلَاقُ أَيْدِيهِمْ فِي الْعَرَاقِ!

هَلَّا إِنْ أَبِيْتُمُوهُ حَكِيمَ الْقَاعِدَةِ؟!

اللَّهُمَّ أَرْنَا الْحَقَّ حَقًا وَأَرْزَقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَرْنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَأَرْزَقْنَا اجْتِنَابَهُ، وَآخِرُ دُعَوَانَا أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

محتب الشام https://twitter.com/mo_shamii

المقالات السابقة

المقال الأول: بين يدي النقاش

المقال الثاني: منهج التكفير

المقال الثالث: المنهج مع أهل العلم

المقال الرابع: الموقف من إقامة الدولة

المقال الخامس: الموقف من البيعة

المصادر: